

كيف ندرك ليلة القدر؟.. كل ما تريد معرفته عنها



الخميس 30 يونيو 2016 02:06 م

(ليلة بالعمر كله)

بقلم الشيخ عبدالعزيز رجب

العناصر:-

- أ- المقدمة
- ب- لماذا سميت بليلة القدر؟
- ج- معنى ليلة القدر
- د- الآيات الخاصة بليلة القدر
- ل- فضل ليلة القدر
- م- تحريها والاهتمام بها
- ن- أفضل الأعمال فيها
- و- من يجرم خيرها
- ي- علامات ليلة القدر

أ (المقدمة:

ليلة القدر:

هي زهرة الشهر الغراء، وجائزته الحسنة، وهدية الله لعباده الأتقياء، من فاز بها فقد حاز الفوز كله، ومن حرّمها فقد حرم الخير كله □

إذا بدا فيك كل أمر

فأنت خير من ألف شهر

يذهبها منك نور الفجر

في ليلة ما لها صباح

يا ليلة القدر فيك قدري

فالروح في كونها سوائي

ينزل الحق كل أمر

في ليلة القدر من وجودي

" إنها الليلة المختارة، والليلة الموعودة، التي تفتح فيها الأبواب، ويقرب فيها من تاب إلى الله وأناب، ولا يرد من طرق الباب، بل يسمع منه الخطاب، ويأتي على الفور الجواب، فيكتب له في هذه الليلة ما لا يدركه العقل من الثواب، فماذا أنتم فاعلون؟ "1"

- فيا ليلة القدر للعابدين اشهدي ويا أجساد التائبين اركعي لربك واسجدي ويا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي

يا رجال الليل جدوا رب داع لا يرد
ما يقوم الليل إلا من له عزم وجد "2"

.. فيا من أضع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة القدر، فإنها تعدل العمر كله، وبين يديك الجواهر والدرر، فلا تضع عمرك في الطين والحجر □

وليلة وصل بات منجز وعده سيرى فيها بعد طول مطال
شفيت بها أطيل غليله زمانا فكانت ليلة بليال "3"

"فليست العبرة بطول الأعمار، بل بما تحوي من الأعمال الأبرار، وليس المهم أن تمتد بك الحياة، ولكن المهم أن تملأها بالخير، ورُب لحظة واحدة من مجتهد، خيرٌ من أيام العمر كلها من غافل بليد، فاقتنص كل لحظة منها، ولا تفرط في رأس مالك فإنه لا يعوض". "4"

أما قد خصنا الله بشهر أيما شهر بشهر أنزل الرحمن فيه أشرف الذكر
وهل يشبهه شهر وفيه ليلة القدر فكم من خير صح بما فيها من الخير
روينا عن ثقات أنها تطلب في الوتر فطوبى لامرئء يطلبها في هذه العشر
ففيها تنزل الأفلاك بالأنوار والبر قد قال: (سلام هي حتى مطلع الفجر)
ألا فادخروها إنها من أنفس الذخر فكم من معتق فيها من النار "5"

... فهذه ليالي رمضان الغالية قد أذنت بوداع، وتجهزت للرحيل، ولم يبق منها إلا القليل، وبين يديك هذه الليلة المباركة التي هي خير من ألف شهر □

فإذا كان عمرك قد ضاع من قبل فاستدركه هنا، وإن كنت محسناً فيما مضى، فزد إحساناً هنا، في ليلة واحدة، في ساعات معدودة، وأوقات محدودة، يا لكرم ربنا، ساعات ودقائق تساوي عمراً كاملاً □

فهيا ادحر شيطانك الليلية، وخذ بشأرك منه، اهدم عليه حصونه وقلاعته، اقصم ظهره، ونكس رأسه، ثم إنهم بجنة عالية وقطوف دانية، ورضوان من الله أكبر □ "7"

ب (لماذا سميت ليلة القدر؟

اختلف العلماء في ذلك:

1- فقيل: لأن الله يقدر فيها كل شيء من السنة للسنة من أمور ووقائع {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}. (الدخان: 4)

2- قال ابن عباس رضي الله عنه: "يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت أو حياة ورزق ومطر، وحتى الحجاج، يقال: يحج فلان، ويحج فلان □ "8"

3- أبو بكر الوراق: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، بواسطة ملك ذي قدر، على رسول ذي قدر، لأمة ذات قدر، في ليلة ذات قدر، وهي ليلة القدر □

.. ومن لم يكن له قدر، فلا خطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا أحيها □ "9"

4- سهيل: لأن الله قدر فيها الرحمة على المؤمنين □

5- الخليل: لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة □

6- البعض: لأن الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة □ "10"

ج (معنى ليلة القدر:

3- فيها يفرق كل أمر حكيم: تُكتب فيها الآجال والأرزاق من السنة للسنة، ترى لو كتبت أسماؤنا من أموات هذا العام ماذا نفعل؟ هل ننام؟ هل نلعب؟ هل نعص الله؟

4- خير من ألف شهر: أي 83 سنة و4 شهور لمن قامها، وعبد الله فيها حق العبادة، فليلة القدر عند المحبين ليلة الحظوة بأنس مولاهم وقربه، وإنما يفرون من ليالي البعد والهجر

- كان ببغداد موضعان يقال لأحدهما "دار الملك، والأخرى دار القطيعة".

فجاز بعض العارفين بملاح في سفينة فقال له: "احملي معك إلى دار الملك".

فقال له الملاح: ما أقصد إلا القطيعة، فصاح العارف: لا والله لا والله بالله منها أفر

وليلة بت بأكفانها تعدل عندي ليلة القدر

كانت سلاماً لسروري بها بالوصل حتى مطلع الفجر "17"

5- نزول الملائكة فيها:

(تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ {4}) "القدره"

" الحكمة من نزول الملائكة في هذه الليلة ومعهم جبريل عليه السلام

1- قال ابن كثير: "كثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له" "18"

2- وقيل: إن الملوك والسادات لا يحبون أن يدخل دارهم أحد حتى يزينوا دارهم بالفرش والبسط، ويزينوا عبيدهم بالثياب والأسلحة، فإذا كانت ليلة القدر أمر الرب تبارك وتعالى الملائكة بالنزول إلى الأرض، لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات و بالصوم والصلاة في ليال رمضان، ومساجدهم بالقناديل والمصابيح فيقول الرب تعالى: أنتم طعنتم في بني آدم وقلتم: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا) فقلت لكم: "إني أعلم ما لا تعلمون" اذهبوا إليهم في هذه الليلة حتى تروهم قائمين ساجدين راكعين، لتعلموا أي اخترتهم على العالمين" "19" 6

6- ليلة القدر:

.. هي ليلة السلام، والله هو السلام، والجنة هي دار السلام، وتحية أهلها السلام"

وديننا الإسلام وبشيد بالسلام، ويقر على الأرض السلام، وينزل في موكب من الملائكة يحدوه ويحف به السلام، وتحيتنا فيما بيننا السلام، ويوم نلقى ربنا بالسلام، وختم صلواتنا ومناجاتنا السلام، وربنا الملك القدوس الذي أعد للصالحين من عباده دار السلام، وديننا السلام، ومادته السلام (فَأَصْحَىٰ عَنْهُمْ وَقُلُ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {89}) "الزخرف:89"

نسأل الله أن يمن علينا بالسلام، وأن يسكننا دار السلام

عن الحسن قال: إذا كانت ليلة القدر لم تزل الملائكة تخفق بأجنحتها بالسلام من الله والرحمة من لدن صلاة المغرب إلى صلاة الفجر

- عن منصور بن زاذان قال: تنزل الملائكة من تلك الليلة حتى تغيب الشمس، إلى أن تطلع الغد يمرون على كل مؤمن يقولون: السلام عليك يا مؤمن". "21"

7- مغفرة للذنوب:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (r) "من قام ليلة القدر إيماناً وإحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" البخاري

8- العتق من النار:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله (r) :

"... وذلك أن لله في رمضان عتقاء من النار وذلك في كل ليلة" الترمذي والبيهقي وابن ماجه .

(م) تحريها والاهتمام بها:

لذلك من أجل فضلها العظيم أوصى النبي (r) أن تتحرى ليلة القدر

فعن الزبير وعائشة رضي الله عنها أن النبي (r) قال: "تحرروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان" البخاري ومالك

... وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "اطلبوا ليلة القدر وما كتب لكم من الثواب فيها إن وجدتموها" "22"

ولذلك كان السلف رضوان الله عليهم يهتمون بها

قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليال العشر الأواخر

- وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة

- وكان تميم الداري له حلة اشتراها بألف درهم، كان يلبسها في الليلة التي يرجى أنها ليلة القدر "23"

- وكان ثابت البناني وحמיד الطويل يلبسان أحسن ثيابهما، ويتطيبا، ويتطيبون المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر

- وكان ابن عمر رضي الله عنها يقول: "الله أحق أن يتزين له"

تزين الظاهر والباطن:

وروي عن ابن عمر أيضاً مرفوعاً: "ولا يكتمل التزين بالظاهر إلا بتزين الباطن".

تزيين الظاهر نعرفه، أما تزيين الباطن فيتم بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى، وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها، فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغن شيئاً، قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (الأعراف:26).

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

ولا يصلح لمناجاة الملك في الخلوات إلا من زين ظاهره وباطنه، وطهرهما خصوصاً لملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى، وهو لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره باللباس وباطنه بلباس التقوى". (24)

ن- أفضل الأعمال فيها:

حتى أحصل على هذا الأجر العظيم، هناك أعمال مفضله في هذه الليلة منها:-

1- تفتير صائم:

.. عن سلمان رضي الله عنه مرفوعاً: "من فطر صائماً في شهر رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبريل ليلة القدر، ومن صافحه جبريل يرق قلبه وتكثر دموعه" الطبراني وفيه ضعف

.. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (r): "من فطر صائماً كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً". الطبراني، أحمد، صحيح

2- الدعاء:

.. الإكثار من الدعاء في هذه الليلة

يقول سفيان الثوري: الدعاء في هذه الليلة أهم من أي عبادة لأن الدعاء فيها مستجاب

- أفضل الدعاء

لذلك لما سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله (r) وقالت: "أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال قولي: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) الترمذي، ابن ماجة، أحمد

لماذا الدعاء بالعفو؟

(1) لأن الله العفو يعفو دون أن يسأل فكيف لو سئل!

(2) لأن فيه إيحاء إلى أهم المطالب - انفكك الإنسان من تبعات الذنوب، وطهارته من دنس العيوب، فإنه بالطهارة من ذلك يتأهل للانتظام في سلك حزب الله، وحزب الله هم المفلحون "25"

(3) لأن العفو من أسماء الله تعالى، وهو يتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها، وهو يحب العفو فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من

عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته"

(4) لما عرف العارفون بجلاله خضعوا، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا، ولولا طمع المذنبين في العفو لاحتترقت قلوبهم باليأس من الرحمة، ولكن إذا ذكرت عفو الله استروحت إلى برد عفوه

كان بعض المتقدمين يقول في دعائه: "اللهم إن ذنوبي قد عظمت فجلت عن الصفة، وإنها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني"(26)

(5) ولأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالداً فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر

قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو

إن كنت لا أصلح للقرب فشأنك عفو عن الذنب

وكان مطرف بن العبد يقول: اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا فاعف عنا، ومن عظمت ذنوبه في نفسه لم يطمع في الرضا، وكان غاية أمله أن يطمع في العفو

يا رب عبدك قد أتاك وقد أساء وقد هفا

يكفيه منك حياؤه من سوء ما قد أسلفا

حمل الذنوب على الذنوب الموبقات وأسرفا

وقد استجار بنيل عفوك من عقابك ملحقاً

رب اعف وعافه فلأنت أولى من عفا "28"

"يا عفو عفوك، وفي المحيا عفوك، وفي العمات عفوك، وفي القبور عفوك، وعند النشور عفوك، وعند تطاير الصحف عفوك، وعند معر الصراط عفوك، وعند الميزان عفوك، وفي جميع الأحوال عفوك، يا عفو عفوك".

3- التذلل على أعتاب باب الله:

...فلنتذلل لله في هذه الليلة لعل الله يطلع علينا فيقول: "قوموا قد غفرت لكم".

فرياح هذه الأسفار تحمل أئين المذنبين، وأنفاس المحبين، وقصص التائبين، ثم تعود برد الجواب بلا كتاب،... ولو قام المذنبون في هذه الأسفار، على أقدار الانكسار، ورفعوا قصص الاعتذار، مضمونها "يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا" لبرز لهم التوقيع عليها لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

أشكو إلى الله كما شكى أولاد يعقوب إلى يوسف

قد مسني الضر وأنت الذي تعلم حالي وترى موقفي

بضاعتي المزجاة محتاجة إلى سماح من كريم وفي

فقد أتى المسكين مستمطراً جودك فارحم ذله واعطف

فأوف كيلي وتصدق على هذا الفقير البائس الأضعف "29"

فائدة التذلل :-

جاء في الأثر: إذا جن الليل وهدأت العيون، وخلا كل خليل بخيله، وافترش أهل المحبة أقدامهم بين يدي مليكهم في مناجاته، ورددوا كلامه بأصوات محزونة، وجرت دموعهم على خدودهم، وتقطرت في محالهم خوفاً وإشتياقاً، فأشرف عليهم الجليل جل جلاله، فنظر إليهم فأمدهم محبة وسروراً، فقال لهم: "أحبابي والعارفين بي، اشتغلوا بي وألقوا عن قلوبكم ذكر غيري، أبشروا فإن لكم عندي الكرامة والقرية يوم تلقونا، فينادي الله جبريل: يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلي وأناخ بفنائني، وإني لمطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وبكاءهم، وأرى تقلبهم واجتهادهم، فناد فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء الذي أسمع؟ وما هذا التضرع الذي أرى منكم؟

- هل سمعتم أو أخبركم عني أحد أن حبيبا يعذب أحبائه، أو ما علمتم أنني كريم، فكيف لا أَرْضَى؟ أيشبهه كرمي أن أرد قوماً قصدوني؟ أم كيف أدل قوماً تعزوا بي؟ أم كيف أحجب رحمتي؟ أم كيف يمكن أن يبيت قوم تملقوا لي وقوفا على أقدامهم، وعند البيات أخذلهم؟ أم كيف يجعل بي أن أعذب قوماً إذا جنهم الليل تملقوني؟ وكيفما كانوا انقطعوا إلي وإسترحوا إلي ذكري، وخافوا عذابي، وطلبوا القرية عندي، فقد حلفت لأرفعن الوحشة عن قلوبهم، ولأكونن أنيسهم حتى يلقوني، فإذا قدموا إلي وأنظر إليهم، ثم لهم عندي ما لا يعلمه

اللهم إنا قد وقفنا عند بابك سائلين، ولمعروفك طالبين، فلا تردنا خائبين، لا تردنا إلا وقد غفرت لنا

(4) الصلاة في جماعة:

- عن سعيد بن المسيب قال: من شهد ليلة القدر يعني في جماعة، فقد أخذ بحظه منها "الموطأ"

- وعن الإمام الشافعي في القديم: من شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها "31"

(5) أن تأخذ بأيدي شخص أو أكثر ليقوموا ليلة القدر

فتأخذ ثواب أكثر من ليلة القدر فعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال (ر): من دل على خير فله مثل أجر فاعله" البخاري في الأدب المفرد، أحمد

(6) أصحاب الأعدار:

حتى أصحاب الأعدار كالمريض والمسافر والحائض والنفساء لهم في ليلة القدر نصيب

- قال حوير: قلت للضحك: "أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب"

.....قال: نعم كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر"32"

(و) من يحرم الخير منها:

- لكن رغم فضل ليلة القدر العظيم هناك بعض من الناس قد حرموا خيرها وفضلها وهم:-

(الغافل - المشاحن - مدمن الخمر - العاق لوالديه - قاطع الرحم).

- فعن عبادة بن الصامت قال: "خرج نبي الله (ر) يخبرنا بليلة القدر، فتلاحي رجلان من المسلمين، قال: خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي رجلان من المسلمين فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم البخاري

- وفي حديث للبيهقي: نظر الله إليهم في هذه الليلة فعفا عنهم، وغفر لهم إلا أربعة فقلنا: يا رسول الله من هم؟ قال: - رجل مدمن خمر - عاق لوالديه - قاطع رحم - ومشاحن -" شعب الإيمان وفيه ضعف

- فإذا أردنا أن ننال ثواب ليلة القدر فعلينا أن نتخلص من هذه العيوب حتى ينظر إلينا علام الغيوب، فيمح الذنوب، ويستتر العيوب

(ي) علامات ليلة القدر:

- ومن علامات ليلة القدر كما قال (ر): أنها تصبح من ذلك اليوم تطلع الشمس ليس لها شعاع

- قال أيضاً: عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي (ر): إن أماره ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعاً ساكنة سحبه، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب يرمي به فيها حتى يصبح، وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل لشیطان أن يخرج معها يوماً "أحمد باسناد حسن"

... اللهم بلغنا ليلة القدر وأعطنا أجرها وفضلها واجعل أجرنا فيها مغفرة الذنوب والعتق من النار اللهم آمين

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

- (1) من الطارق - خالد أبو شادي ص42
- (2) لطائف المعارف 1 - 1/257 - الحافظ ابن رجب
- (3) المصدر السابق
- (4) من الطارق ص43
- (5) لطائف المعارف
- (6) خواطر رمضانفة - حسن البنا ص177
- (7) من الطارق ص43
- (8) رسالة في أسس العقيدة ص119، أعلام السنة المنشوري ص195، حافظ بن أحمد الحكيمي
- (9) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم - الألوسي (23/42)
- (10) رمضان وإلى ربك فارغب - بلال وهب ص 54، 55
- (11) في ظلال القرآن - سيد قطب
- (12) تفسير البغوي 8/842
- (13) شعب الإيمان - البيهقي 8/180
- (14) تفسير الألوسي - 23/62
- (15) الفصل في الملل والأهواء والنحل - 4/91 - على بن حزم
- (16) في ظلال القرآن
- (17) لطائف المعارف - 1/257
- (18) تفسير ابن كثير 4/502
- (19) لطائف المعارف 1/257
- (20) خواطر رمضانفة - حسن البنا ص175
- (21) الحبانك في أخبار المعالك 1/28 - خيرى الدين السيوطى
- (22) المفصل فى الرد على شبهات أعداء الإسلام - 7/204 على بن نايف الشحود
- (23) الطبقات الكبرى - الشكرانى
- (24) لطائف المعارف 1/257
- (25) الموسوعة الفقهية الكويتية 2/14058
- (26) لطائف المعارف (1/28)
- (27) نفس المصدر
- (28) فضائل الأوقات - أحمد بن الحسين البيهقي
- (29) لطائف المعارف (1/228)
- (30) حليه الأولياء

(31) لطائف المعارف

(32) المصدر السابق 1/257